بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[1].

والبحث في رحاب الآية المباركة مؤلفٌ مِن مدخل ومطالب.

المدخل: في تحليل معنى الآية المباركة.

إنّ هذه الآية المباركة بضم ما قبلها مِن الآيات الشريفة في مقام بيان أُصول الدين التي تقوم عليها جميع الديانات السماوية، فإنّ أصول الدين هي:

1 – الإيمان بالخالق.

2 – التوحيد.

3 – الإيمان بالنبوة.

4 – الإيمان بالمعاد.

أمّا الأصلُ الأوّل وهو الإيمانُ بالخالق فقد أشار له بقوله تعالى: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}**[2]، فإنّ عنوان الغيب إذا أُطلق بلا قيدٍ فهو مشيرٌ إلى الغيب المطلق وهو الخالق.

وأمّا الأصلُ الثاني وهو التوحيدُ العبادي فقد أشير إليه بقوله تعالى: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**[3]؛ حيثُ إنّ الصلاة والإنفاق أبرزُ مصاديق العبادة، ولذلك كلما ذكر القرآن الكريم الصلاةَ أردفها بالزكاة أو بالإنفاق، فبغرض الإشارة إلى الأصل الثاني وهو التوحيد العبادي بمعنى انحصار العبادة به تبارك وتعالى قال عزّ وجلّ: **{يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}** فإنّ الظاهر مِن سياق توصيف المتقين أنّ مِن قوام أوصافهم الصلاة والزكاة لله سبحانه وتعالى فقط.

---

[1] سورة البقرة، 4.

[2] سورة البقرة، 2 – 3.

[3] سورة البقرة، 3.

ثمّ أشار إلى الأصل الثالث وهو الإيمان بالنبوة بقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[4].

ومِن الواضح أنّ الإيمان بالنبوة مستلزمٌ للإيمان بالإمامة؛ باعتبار أنّ ما أُنزل إليه (صلى الله عليه وآله) مِن القرآن الكريم قد تضمن أنّ مِن دعائم الدين هو الإمامة كما في قوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ}**[5]، وقوله تعالى: **{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}**[6].

ثمّ أشار إلى الأصل الرابع وهو الإيمان بالآخرة بقوله تعالى: **{وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[7].

المطالب: مطالبٌ في تفاصيل الآية الشريفة.

المطلبُ الأوّل: في معنى نزول القرآن.

قد استخدم القرآن الكريم عنوان النزول في عدّة موارد.

فمثلاً: قوله سبحانه وتعالى: **{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ}**[8]، وقوله تبارك وتعالى: **{أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ}**[9]، وكما عبر عن الماء بأنّه مما نزل كذلك عبر عن القرآن بأنّه نزول حيثُ قال تبارك وتعالى: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}**[10]، وقال تبارك وتعالى: **{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}**[11].

فما هو الفرق بين هذين النحوين مِن النزول؟ أي: نزول الماء ونزول القرآن الكريم، وهل أنّ المعنى واحدٌ أم مختلفٌ؟

ذكر جملةٌ مِن الأعلام عند البحث حول صفات القرآن الكريم أنّ هناك فرقاً بين النزول على نحو التجافي والنزول على نحو التجلي.

---

[4] سورة البقرة، 4.

[5] سورة النساء، 59.

[6] سورة المائدة، 55.

[7] سورة البقرة، 4.

[8] سورة المؤمنون، 18.

[9] سورة الواقعة، 69.

[10] سورة الشعراء، 193 – 194.

[11] سورة القدر، 1.

فالنزول على نحو التجافي هو النزول المستلزم للفراغ، بينما النزول على نحو التجلي هو عبارةٌ عن انتقال مِن درجةٍ لدرجةٍ أُخرى وليس مستبطناً للفراغ.

وتوضيحهُ بالمثال: عندما تقول: "أنزلتُ الكتابَ مِن المكتبةِ إلى الأرض" فإنّ مقتضى نزول الكتابِ مِن المكتبة فراغُ المكتبة منه، فهذا نزولٌ مستبطنٌ للفراغ، ومِن هنا يعبر عنه بأنّه مِن التجافي.

ولكن عندما تقول: "أنزلتُ الفكرةَ مِن ذهني وجعلتُها فكرةً مكتوبةً" فهذا لا يعني أنّ الذهن خلا مِن الفكرة عندما تحولتْ إلى فكرةٍ مكتوبةٍ، بل ربما كان تحويلها إلى فكرةٍ مكتوبةٍ أكثر ترسيخاً لها مِن كونها فكرةً منحصرةً في الذهن.

فالنزول الثاني – وهو نزول الفكرة – هو النزول على نحو التجلي، أي: أنّ هذه الفكرة لها درجاتٌ ومراتبٌ:

فمِن مراتبها تصورها في الذهن.

ومِن مراتبها تصديق القلب بها.

ومِن مراتبها ترجمتها بالكتابة أو باللفظ.

كذلك هذا هو الفرق بين نزول الماء ونزول القرآن الكريم؛ فإنّ نزول الماءِ مِن السماء يعني فراغُ تلك البُقعة مِن السماء منه، بينما نزول القرآن الكريم على النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) لا يعني فراغ اللوح المحفوظ مِن القرآن، بل إنّه تبارك وتعالى أخبر عن ذلك فقال: **{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}**[12]، فالقرآنُ الكريم قبل نزوله على النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان في أُمِّ الكتاب، وكونه في أمِّ الكتاب درجةٌ مِن درجات وجوده، ونزوله على قلب النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) درجةٌ أُخرى مِن درجاتِ وجوده، فانتقالُهُ مِن درجة وهي: **{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}** إلى الدرجة الأُخرى وهي: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}**[13]، هو عبارةٌ عن التجلي، أي: تجلى مِن اللوح المحفوظ إلى عالم الخلق عن طريق واسطة قلب النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله).

---

[12] سورة الزخرف، 3 – 4.

[13] سورة الشعراء، 193 – 195.

المطلبُ الثاني: إنّ الملاحظ في الآية المباركة أنّها قدمت الإيمان بما أُنزل على النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) على الإيمان بما أُنزل مِن قبله فقال سبحانه وتعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}**[14]، مع أنّ مقتضى السبق الزمني هو العكس، بأنْ يُقال: الّذينَ يُؤْمِنُونَ بما أُنزِلَ مِن قَبلك وما أُنزِلَ عليك، لكن القُرآن الكريم قدم ما أُنزِلَ على النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) على ما أُنزِلَ مِن قبله؛ لبيان استلزام الإيمان بما أُنزل على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) للإيمان بما أنزل قبله دون العكس.

فإنّ الملازمة قد تكون ثبوتية وقد تكون إثباتية، فإذا لوحظ مقام الثبوت فالملازمة في الإيمان بين الرسالات السماوية مِن الطرفين في عرضٍ واحدٍ، وإذا لوحظ مقام الإثبات فالاستلزام مِن اللاحق للسابق دون العكس.

وبيانُ ذلك: أنّ الإيمان بأيِّ رسالةٍ بدءًا مِن نبيّ الله نوح (عليه السلام) إلى الإيمان بنبيّ الرحمة (صلى الله عليه وآله) متلازمان واقعاً، وقد أرشدت الآيات المباركات إلى هذه الملازمة الواقعية بينهما حيثُ قال الله تبارك وتعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}**[15]، فإنّ قوله تعالى: **{ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ}** يشيرُ للنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ إذ لا توجدُ رسالةٌ لأيّ نبيٍّ من الأنبياء (عليهم السلام) إلّا وهي متضمنةٌ لضرورة الإيمان بنبوة النبيّ الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله)، وقال تبارك وتعالى: **{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}**[16].

وهو ما يذعن بِهِ العقل مِن أنّ الهدف مِن جميع الرسالات السماوية لما كان واحداً وهو قوله تعالى: **{لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}**[17] كان لازمه أنْ يكون الدين الذي جاء به جميع الأنبياء (عليهم السلام)

---

[14] سورة البقرة، 4.

[15] سورة آل عمران، 81.

[16] سورة الصف، 6.

[17] سورة الحديد، 25.

واحداً، وإنّما اقتضى التخطيط لتحقيق الهدف التدريج في مراحل تبليغ الدين الواحد، ومِن الواضح أنّه لا يعقل التجزئة والتبعيض في الإيمان بالدين الواحد؛ فإنّه ليس إيماناً بِهِ على واقعه مِن الوحدة والترابط، هذا بحسب مقام الثبوت.

ولكن إذا لوحظ مقام الإثبات فلا ملازمة مِن الطرفين؛ باعتبار أنّ الكتب التي سبقت النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد خضعتْ للتحريف مما أوجب إخفاء ما دلّ فيها على نبوة النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) فلم تكن هناك ملازمة إثباتاً بين الإيمان بما أُنزِلَ مِن قَبله والإيمان بما أُنزِلَ عليه، وإنّما الثابت هو العكس؛ حيث إنّ الإيمان بما أُنزِلَ عليه مستلزمٌ للإيمان بما أُنزِلَ مِن قَبله، لذلك قدمه في الذكر عليه فقال عزّ وجلّ: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}**[18].

المطلبُ الثالث: بما أنّ رسالة النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) ناسخةٌ لجميع الرسالات، حيثُ قال تبارك وتعالى: **{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}**[19]، فما هو الوجه في مطالبة المسلم بالإيمان بالرسالات المنسوخة، مع أنّ في الإيمان برسالة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) الكفاية؟

ويؤكدُ ذلك: أنّ أُصول الدين هي أُصول الدين في جميع الأديان وهذا ما أُشير إليه بقوله تبارك وتعالى: **{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}**[20]، ولعل هذا هو المقصود بقوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}**[21] أي: أنّ الإسلام هو الجامع بين الأديان كلها بلحاظ الأُصول المشتركة بين الأديان.

والجوابُ عن ذلك:

أوّلاً: أنّ الإيمان بالرسالات السابقة مرجعه للإيمان بحكمة الباري تعالى ورحمته، فكما أنّ حكمته في مجال التكوين قد اقتضتْ أنْ يبدع نظاماً فريداً متقناً يحفظ بِهِ توازن الوجود المادي، ويضمن بِهِ استقرار الحياة على الأرض، فكذلك حكمته في مجال التشريع اقتضتْ أنْ لا يترك أمة دون رسالة

---

[18] سورة البقرة، 4.

[19] سورة الأحزاب، 40.

[20] سورة الشورى، 13.

[21] سورة آل عمران، 19.

ونظام وقانون يحفظ بِهِ صلاح المجتمع البشري في كُلّ حقبة، كما اقتضتْ حكمته أنْ تكون مسيرة الدين السماوي على مراحل، بهدف مواكبة المجتمع البشري بحسب مستواه الثقافي والحضاري في كُلّ عصر، وهو ما أشارت إليه عدة آياتٍ منها قوله تعالى: **{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ}**[22].

وثانياً: إنّ هناك فرقاً بين الإيمان وبين العمل، فلو كان المطلوب في الآية المباركة هو العمل بالرسالات السابقة لصحّ الاعتراض بأنّه كيف يمكن للإنسان المسلم أنْ يجمع بين الناسخ والمنسوخ، والمفروضُ أنّ رسالة النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد نسختْ ما قَبله، إلّا أنّ المطلوب في الآية المباركة هو الإيمانُ لا العمل.

ومِن الواضح أنّ الإيمان بجميع ما نزل على الرُّسل والأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) إيمانٌ بما هو حقٌّ صادرٌ مِن الله تعالى في ظرفه، وإنْ كان قد نُسخ في رسالة سيد الأنبياء محمّدٍ (صلى الله عليه وآله) إلّا أنّه في موطنه وفي ظرفه كان أمراً إلهياً وكان حقّاً صادراً مِن الله تبارك وتعالى؛ إذ لا ملازمة بين الإيمان وبين العمل كالإيمان بالملائكة (عليهم السلام) فإنّه لا يستتبع عملاً، وكذا الإيمان بالسماوات السبع التي ذكرها القرآن الكريم، فإنّه لا يستتبع عملاً، فما هو مطلوبٌ الإيمانُ بِهِ غيرُ ما هو مطلوبٌ العملُ بِهِ.

المطلبُ الرابع: بما أنّ الإيمان بما أُنزل على النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) مساوقٌ للإيمانِ بما أُنزِلَ مِن قَبله؛ فإنّ كلّ مَن آمنَ بالقرآن الكريم آمنَ بما في القرآن، ومما في القرآن الكريم بعث الرُّسل والأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين) وإرسال الكتب فما هو الوجه في ذكر أمرين – مع أنّهما أمرٌ واحدٌ – في قوله سبحانه وتعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}**[23]، إذ كان بالإمكان أنْ يكتفي بالقول: والّذينَ يُؤْمنون بِمَا أُنزِلَ إليك؛ لأنّ الإيمان بما أُنزِلَ إليه (صلى الله عليه وآله) مساوقٌ للإيمان بما أُنزِل مِن قَبله (صلى الله عليه وآله)؛ حيث إنّ الإيمان بالقرآن إيمانٌ بما أُنزِلَ قَبل القُرآن الكريم، وذلك مِن خلالِ وجوهٍ:

---

[22] سورة فاطر، 24.

[23] سورة البقرة، 4.

الوجهُ الأوّل: أنّ القرآن الكريم قد تضمن الأُصول المشتركة بين الأديان كما في قوله وتعالى: **{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}**[24]، فهو مصدقٌ لجميع ما نَزَلَ مِن قَبله.

الوجهُ الثاني: أنّ القرآن الكريم اِستعرضَ الرُّسل (عليهم السلام) وأسمائهم ومعاجزهم وحقانية رسالاتهم، فمتى ما آمن الإنسانُ بما في القرآن الكريم فقد آمن بما أُنزِلَ قَبل القرآن الكريم.

الوجهُ الثالث: تضمن عدة آياتٍ مِن القرآن الكريم لزوم التصديق بما سبقه مِن الأديان والرسالات والكتب.

وبالتالي فما هو الوجه في التفصيل بين ما أُنزل إليه وما أُنزل مِن قبله؟

والجوابُ عن ذلك:

أوّلاً: إنّ القرآن الكريم لَمْ يتعرض لذكر جميع ما أُنزِلَ مِن قَبله (صلى الله عليه وآله) وهم آلاف الأنبياء (عليهم السلام) وآلاف التعاليم والإرشادات والنصائح التفصيلية التي لَمْ يتعرض لها القرآن الكريم، ولكن تعرضتْ لها سُنّة النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأحاديث الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فما ورد عن النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) مِن آلاف التعاليم وإنْ لَمْ يكن موجوداً في القرآن الكريم لكنه مما أُنزل على مَن سبق النبيّ (صلى الله عليه وآله) مِن الأنبياء والرّسل (عليهم السلام) وجاء خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) بأعلى درجات الكمال فيه، فحيث إنّ القرآن الكريم لَمْ يتعرض لكلّ ما أُنزِلَ على الأنبياء والرُّسل (عليهم السلام) لذلك طُولبَ المؤمن بأنْ يؤمن بما أُنزِلَ على النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم وما أُنزِلَ مِن تعاليمٍ وإرشاداتٍ على الأنبياء (عليهم السلام) مِن قَبله وهي الآلاف من التعاليم التي بلغها الأنبياء (عليهم السلام) الذين بعثوا مِن قِبله تعالى وليستْ في القرآن الكريم.

فإنْ قلتَ: أليسَ هذا مخالفاً لما صرح بِهِ القُرآن الكريم نفسه في قوله تبارك وتعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}**[25] فإنّ ظاهرَ هذه الآية المباركة أنّ القُرآن

[24] سورة المائدة، 48.

[25] سورة النحل، 89.

متضمنٌ لتبيان كلّ شيءٍ ولَمْ يترك شيئاً مما نَزَلَ مِن السماء إلّا وقد تعرضَ إليه، فكيف يُقال بأنّ القُرآن لَمْ يتعرض لجميع ما أُنزِلَ على الأنبياء (عليهم السلام) مِن قَبله؟

قلتُ: هناك فرقٌ بين وصف القرآن الكريم بالقياس للنبيّ (صلى الله عليه وآله) ووصف القرآن الكريم بالقياس للمسلمين.

أمّا وصف القرآن الكريم مِن حيثُ نسبته للنبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) فهو تبيانٌ لكلّ شيءٍ لا بلحاظ التنزيل بل بلحاظ التأويل، أي: أنّ تنزيل القُرآن وإنْ لَمْ يشتمل على كلّ شيء إلّا أنّ تأويله متضمنٌ لتبيان كلّ شيءٍ، بمعنى: أنّ القرآن بالقياس إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فإنّه متضمنٌ لشفرات ورموز تشير لجميع التعاليم التي نَزَلَتْ مِن السماء، لكن هذا إنّما هو بالنسبة إلى سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله).

وأمّا وصف القرآن الكريم بالقياس إلى المسلمين فقد بينه بقوله تبارك وتعالى: **{وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}** فهو بالنسبة للنبيّ (صلى الله عليه وآله) تبيانٌ لكلّ شيءٍ، وهو بالنسبة للمسلمين "هُدًى" وَ "رَحْمَةً" وَ "بُشْرَىٰ".

مما يعني أنّ القرآن الكريم بحسب ظاهره التنزيلي لَمْ يتعرض لجميع ما أُنزِلَ على الأنبياءِ والرُّسل (عليهم السلام)، لذلك كان الإيمان مِن قبل المسلمين بما أُنزل مِن قَبله ليس تكراراً لقوله: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}**[26].

وثانياً: إنّ ظاهرَ هذه الآية المباركة مطلوبيةُ الإيمانِ التفصيلي.

بمعنى: أنّه لا يكفي أنْ يُؤمن المؤمنُ بما أُنزِلَ مِن القرآن الكريم بل لابُدّ أنْ يعقُد قلبه على الإيمان أيضاً بما أُنزِلَ على الأنبياءِ والرُّسل (عليهم السلام) قَبل النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ولا يكفي مجرّد عقد القلب على ما أُنزِلَ مِن القرآن الكريم على النبيّ (صلى الله عليه وآله)، في مقابل مَن ذهب للتفكيك بين الرُّسل والأديان كما في قوله تبارك وتعالى: **{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا**

[26] سورة البقرة، 4.

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[27]، وقوله تبارك وتعالى في شأن بني إسرائيل: **{إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ}**[28].

والنتيجة: أنّ مضمون الآيةِ المباركة مطلوبية عقد القلب على نوعين مِن الإيمان:

النوعُ الأوّل: الإيمانُ بما أُنزِلَ في القُرآن الكريم، **والنوعُ الثاني**: الإيمان بما أُنزِلَ على الانبياء مِن قَبله كما في قوله تبارك وتعالى: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}**[29]، وقوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}**[30]، فإنّ عقد القلب على الإيمان التفصيلي طريقٌ ضروري لاكتمال الحقيقة الملكوتية النورانية القائمة بنفس الإنسان المسلم دون الاكتفاء بالإيمان الإجمالي.

المطلبُ الخامس: ما هو الوجه في تكرار الموصول؟

حيثُ إنّ الآية الثالثة في قوله عزّ وجلّ: **{الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**[31] قد عبرت باسم الموصول ثمّ تكرر اسم الموصول في ما بعدها وهو قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**[32]، وقد كان بالإمكان أنْ لا يذكر الموصول مرةً أُخرى، بل يقول: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ويُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"، مِن دون تكرار؟

وهنا وجوه للجواب عن ذلك:

الوجهُ الأوّل: ما ذُكر في بعض كتب التفسير: مِن أنّ الفصل بين العنوان الجامع وبين مصاديقه بما هو أجنبي وهو قوله تعالى: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}** اقتضى التكرار، حيثُ إنّه أوّلاً

---

[27] سورة البقرة، 136.

[28] سورة البقرة، 91.

[29] سورة البقرة، 285.

[30] سورة النساء، 136.

[31] سورة البقرة، 1 – 3.

[32] سورة البقرة، 4.

ذكر العنوان الجامع في قوله تعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** والغيب عنوانٌ جامعٌ، ثمّ فصل بين العنوان الجامع وبين مصاديقه المذكورة في قوله تعالى: **{بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}**؛ لأنّها مِن الغَيْب، بذكر أمرٍ أجنبي وهو العبادات العملية حيثُ قال تعالى: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**، والفصل بين العنوان ومصاديقه بأمرٍ أجنبي اقتضى أنْ يكرر الموصول فقال تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}**.

ولكن الوجه المذكور لا يصلح جواباً؛ إذ قد يُقال في المقابل: ما هو المبرر في الفصل بأمرٍ أجنبي؟ ولماذا لَمْ يقل مِن البداية: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ومَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"، ثمّ يعطف عليه بقوله: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**، فيجعلُ قوله: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}** مضافاً إلى أنّ عنوان الغيب عند إطلاقه منصرفٌ للغيب المطلق، لا مثل ما أنزل مِن الكتب السماوية، كما أنّ إقامة الصلاة والإنفاق هي جزءٌ مِن الإيمان بالغيب أيضاً، وليس أمراً أجنبياً عنه، فإنّ الإيمان بالغيب له صورتان: **الأُولى**: صورةٌ جوانحية، **والثانية**: صورة جوانحية وجوارحيةٌ.

ولا تنفك إقامةُ الصلاة والإنفاق في سبيل الله تبارك وتعالى عن اتصال القلب بالغَيْب والخالق تبارك وتعالى.

الوجهُ الثاني: أنّ المقصود بالموصول الثاني غير المقصود بالموصول الأول، ويؤكدُ ذلك العطف بالواو، حيثُ أبان عزّ وجلّ أنّ القرآن الكريم هدى للمتقين ثمّ أرشد لأصناف المتقين فذكر فئتين منهم:

الفئة الأُولى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}**، وهم الذين جسدوا إيمانهم بالغيب بطريقة سلوكية وهي الصلاة والإنفاق.

الفئة الثانية: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ}**، فإنّه ليس كل مَن آمن بالغيب وأقام الصلاة وأنفق فقد آمن تفصيلاً بما أُنزل على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وما أُنزل من قبله.

وكلا المصداقين يسترفدون مِن الهداية، حيثُ إنّ الهداية لها درجات وبعضها ينالها مَن آمن بالغيب وأقام الصلاة، وإنْ لَمْ يؤمن في البداية بما أنزل الله تبارك وتعالى جهلاً قصورياً منه، لكنه ببركة استماعه

للكتاب يؤمن بِهِ، ولعل مِن هؤلاء مَن أُشير إليهم في قوله تعالى: **{فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}**[33]، وقوله تعالى: **{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}**[34]، وبعضها ينالها فئة أسمى مِن الفئة الأُولى وهم مَن آمن بما أُنزل إلى الرسول وما أُنزل مِن قبله بنحو الإيمان التفصيلي الثابت، وهم المشار إليهم في قوله تبارك وتعالى: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}**[35]، وقوله سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}**[36].

الوجهُ الثالث: أنّ في المقام ثلاثة أسئلة:

السؤال الأوّل: ما هو وجه التعبير بالاسم الموصول؟

السؤال الثاني: ما هو وجه الفصل بالوصف الدال على العبادة بين "الوصف بالإيمان بالغيب" و "الوصف بالإيمان بالوحي"؟

السؤال الثالث: ما هو وجه تكرار الاسم الموصول في الآية الرابعة؟

فالجوابُ عن السؤال الأوّل: أنّ هناك فرقاً في صور الإيمان بالغَيْب بين الصورةِ المتجددة والصورة الثابتة.

فالصورة المتضمنة للتجدد والحدوث هي إقامة الصلاة والإنفاق، ولأنّه صورةٌ تتضمنُ التجدد عبر عنها بالجملةِ الفعلية الدالة على التجدد والحدوث فقال تعالى: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**.

وأمّا الصورة الثابتة للإيمان بالغيب، فهي عقد القلب بنحوٍ لازمٍ لا تنفك عنه النفس في آنٍ مِن الآنات، وهو الصورة الثابتة اللازمة التي لا تخضع للتجدد والحدوث بل لا ينفك عنها القلب في آنٍ

---

[33] سورة الجن، 1 – 2.

[34] سورة المائدة، 83.

[35] سورة البقرة، 285.

[36] سورة النساء، 136.

مِن الآنات، وهو الإيمان بالغيب والإيمان بالوحي المنزل، لذلك ناسب التعبير عنه بالاسم الموصول فقال سبحانه: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** للإشارة إلى ثباته واستمراره.

والجوابُ عن السؤال الثاني: أنّه لما كانت الصلاة والزكاة ترجمةٌ عملية واضحة للإيمان بالغيب حيثُ لا يعرف عادةً إلّا بها أردف ذكره بذكرها، وعطفه على **{يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** بلا فاصل لكونه جزءاً مِن صلة الموصول كدليل إني عليه، أو مرتبة سامية مِن مراتبه.

والجوابُ عن السؤال الثالث: أنّ تكرار الاسم الموصول للإشارة إلى أنّ هذه الأوصاف مِن الإيمان بالغيب، والإيمان بنزول الوحي على الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومن قبله بنحو تفصيلي مِن الأوصاف الثابتة للمتقين المميزة لهم عن غيرهم، وهو مما لا يتحقق بالعطف بالفعل المضارع، نظير تكرار الاسم الموصول في أوصاف **"عِبَاد الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا"** في سورة الفرقان في قوله تعالى: **{وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا}**[37].

والحمد لله رب العالمين

[37] سورة الفرقان، 63 – 73.